(٨٥) أبو علي الرُّوذْباري[١]

ذكر الشيخ أبي علي أحمد بن محمد الرُّوذْباري رحمه الله:

كان رحمه الله من الكاملين من أهل الطريقة والفتوة، وكان أظرفَ المشايخ وأعلمَهم بالطريقة والحقيقة، وفي المعاملة والرياضة والكرامة والفِراسة كبيرَ الشأن.

بغداديُّ الأصل، وأقام بمصر، ومات سنة اثنين[٢] وعشرين وثلاث مئة.

صحب الجُنيد، والنُّوري، وابن الجلاّء رحمهم الله.

وأهلُ بغداد كانوا مُتواضعين، خاضعين له.

والجُنيد رحمه الله كان قابلاً بكماله[٣] وفضله.

نقل أنَّ فتًى من أصحابه أرادَ أن يُسافرَ، فاستشار الشيخ أبا علي في المُسافرة، فقال له الشيخ: نحن قومٌ لا يكون اجتماعُهم بالوعد، ولا مُسافرتهم ومفارقتهم بالمشورة.

---

(١) طبقات الصوفية ٣٥٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، تاريخ بغداد ١/ ٣٢٩، الرسالة القشيرية ٩٩، مناقب الأبرار ٦٧٦، الأنساب ٦/ ١٨٠، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٤، المنتظم ٦/ ٢٧٢، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٦٩، اللباب ١/ ٤١، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٥، العبر ٢/ ١٩٥، دول الإسلام ١/ ١٩٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٤٨، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٦، البداية والنهاية ١١/ ١٨٠، طبقات الأولياء ٥٠، حسن المحاضرة ١/ ٤٠٠ (محمد بن أحمد)، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٧، (محمد بن أحمد) نفحات الأنس ٢٩٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠٦، الكواكب الدرية ٢/ ١٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٩٦.

(٢) كذا.

(٣) كذا الأصل، ولعلّها: قائلاً بكماله.

أقول: مرادُه أنَّ هذا القوم مُنقادون لقضاءِ الله وقدره، مُفوّضون أمورَهم في جميع أحوالهم إلى الله تعالى، متوكّلون عليه، فإن اجتمعوا فبتقديره، والوعدُ والمشاورة إنَّما هو من ضعف الاعتقاد، ولهذا قيل: من عرف سرَّ القدر استراح. [والله أعلم].

نقل عنه أنه قال: جاء إلينا وقتًا فقيرٌ، وجاء أجلُه، فمات، قال: أدخلناه في القبر، نزلتُ قبرَه، وكشفتُ عن وجهه، وأردْتُ أن أضعَهُ على التراب، لعلَّ اللهَ يرحمُهُ لذلَّتِهِ وغُربته، ففتح العين وقال: لم تُذلّني بعد أن أعزَّني اللهُ تعالى؟ قلت: يا سيدي، كلامٌ بعد الموت؟! قال: نعم، إنّي حيٌّ، والمحبُّونَ لله تعالى كلُّهم أحياءٌ، وأنا أُعينك غدًا يا رُوذباري.

نقل أنه قال: كنتُ في أيام الشباب مُبتلًى بالوسواس في الطهارة، حتى أنَّ يومًا دخلتُ البحرَ بكرةً، وبقيتُ إلى طلوعِ الشمس فيه متعوبًا جسدي وقلبي، فقلت: إلهي، العافيةَ. فسمعتُ هاتفًا يقول من البحر: العافيةُ في العلم.

نقل أنّه سُئل عن التصوف، فقال: التصوُّفُ لبس الصوف على الصفا، وإذاقةُ النفس ألَمَ الجفا، وطرحُ الدنيا على القفا، وسلوكُ طريق المصطفى ﷺ.

وقال: الصوفيُّ من لا يتألَّمُ من الجوع خمسة أيام.

وقال: التصوُّفُ هو العكوفُ على بابِ الحبيب، والتوسُّدُ بالتُّرابِ، وإن ردَّ الحبيب.

وقال: التصوف عصا الأحرار.

وقال: الخوفُ والرجاءُ كجناحَيْنِ، فإن قُطعا امتنعَ الطيرُ عن الطيران، وإن نقصَ أحدُهما انتقصَ الانتفاعُ بالآخر أيضًا[1]، فذلك إن لم يبقَ الخوفُ والرجاء قَرُبَ الشخصُ من الشِّرك.

---

(١) الأصل: انتقص الانتفاع أيضًا بالآخر أيضًا.

وقال: حقيقةُ الخوف أن لا يكونَ لك مع اللهِ خوفٌ من غيره.

وقال: أن تسلمَ إيَّاك[١] بكلِّيّتك إلى المحبوب، ولا يبقى لك منه شيءٌ.

وقال: أنفعُ اليقين يقينٌ عظَّمَ اللهَ تعالى في نظرك، وحقَّرَ ما دونه، ويُقرِّب في قلبك الخوف والرجاء.

وقال: الجمعُ سرُّ التوحيد، والتفرقةُ لسانه.

وقال: كيف تحضرُهُ الأشياءُ وهي فانيةٌ بذواتها لديه تعالى شأنه؟! وكيف تغيبُ عنه، وظهورها عنه تعالى؟ سبحان من لا يحضرُهُ الأشياء، ولا يغيب عنها.

أقول: حاصلُ هذا الكلام أنَّ الأشياءَ ليستْ مستقلّةً في ذواتها ووجوداتها؛ بل إن وجدتْ في الأعيان فبإيجادِه تعالى، وإن فنيت فأيضًا بإعدام الله. [والله أعلم].

وقال: إن الله تعالى يحبُّ أربابَ الهمم، ولذلك هم يحبُّونه.

وقال: لو زال عنَّا نظرةٌ، لفنيت العبودية عنّا ـ يعني: لا يبقى لنا وجودٌ، والحالُ أن العبوديةَ متفرّعةٌ على الوجود.

وقال: كما أنَّ الله تعالى أَوجبَ على الأنبياء إظهارَ المعجزات والبراهين، كذلك فرضَ على الأولياء إخفاءَ الأحوال والمقامات، لئلا يطَّلعَ عليها الأغيارُ ولا يراها.

وقال: إذا خلا القلبُ عن اليمين واليسار، وخلتِ النفسُ أيضًا عنه، ظهرت من القلبِ الحكمةُ، ومن النفس الخدمةُ، ومن الروح المُكاشفة.

أقول: يُحتملُ أن يكونَ المُرادُ من اليمين الآخرةَ، ومن اليسار الدنيا، أو من اليمين الجنةَ ومن اليسار النار. يعني إذا توجَّهُ العبدُ في جميع حالاته إلى الله تعالى، وقطع التفاتَهُ عمّا سواه صارتْ نفسُه منشأَ الخدمة، وقلبُه مصدرَ الحِكم، ورُوحُه موردَ المكاشفات. [والله أعلم].

---

(١) كذا الأصل، ولعلّها: الخوف أن تسلم، أو: الرجاء أن تسلم.

سُئل عن السماع، قال: أنا راضٍ بالخلاص عنه رأسًا برأس ـ أي عن السماع.

أقول: يُشير إلى أنَّ السماعَ ضررٌ بلا منفعة. [والله أعلم].

وقيل له: ماذا في رجلٍ يَسمعُ صوتَ آلات الملاهي، ويقولُ: وصلتُ إلى درجةٍ لا يُؤثّر فيَّ خلافُ الحال؟ فقال: صدقَ أنه وصلَ، ولكن إلى سقر.

قيل: ما تقولُ في الحسد؟ فقال: ما وصلتُ إلى هذا المقام، ولا كنتُ فيه، فليس لهذا السؤال عندي جوابٌ، ولكن قيل: الحاسدُ جاحدٌ، لأنّه لا يرضى بقضاءِ الواحد.

نقل أنه قال: الآفةُ في ثلاث خصال: سقمُ الطبيعة، وسقمُ ملازمة العادة، وسقمُ فساد الصحبة.

أقول: معناه من اتَّبعَ مُقتضى الطبيعة، ولازمَ العادة، ولم يجتنبْ عن صحبةٍ لا فائدةَ لها في الدِّين، فهو فاسدٌ في نفسه. [والله أعلم].

ثم قيل له: ما سقمُ الطبيعة؟ فقال: هو أكلُ الحرام. [قيل]: وما سقم ملازمة العادة؟ . [فقال: النظرُ والاستماع إلى الحرام والغيبة. فقيل له: فما فساد الصحبة؟ فقال: كلَّما هاج في النفس شهوةٌ تبعها][1].

قال: العبدُ لا يخلو عن أحوالٍ أربعة: إما نعمةٍ موجبةٍ للشُّكر، أو منَّةٍ مُوجبةٍ للذكر، أو محنةٍ مُوجبةٍ للصَّبر، أو زلّةٍ موجبة للاستغفار.

وقال: لكلِّ شيءٍ واعظٌ، [و] واعظُ القلب الحياء، وأفضلُ كِنٍّ للمؤمن الحياء.

وسُئل عن الوجد في السماع، فقال: هو مُكاشفةُ الأحرار بمشاهدةِ المحبوب.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من الرسالة القشيرية ١٨١ (المجاهدة)، ومناقب الأبرار ٦٨١.

وقال أيضًا: طريقٌ بين الصفة والموصوف، فمن نظرَ إلى الصفةِ حُجب، ومن نظر إلى الموصوف ظفر.

وقال: القبضُ أولُ أسباب الفناء، والبسطُ أوّلُ أسبابِ البقاء.

وقال رحمه الله: المُريدُ من لا يطلبُ لنفسه شيئًا سوى ما أراد الله تعالى له، والرجلُ من لا يطلبُ شيئًا من الكونَيْنِ سوى الله تعالى.

وقال: أضيقُ السجن معاشرةُ الأضداد.

أقول: ونقل أنه سُئل عن التصوف، فقال: هذا مذهبٌ كلُّه جدٌّ، فلا تخلطوه بشيءٍ من الهزل.

وقال أيضًا: من الاغترار أن تُسيءَ فيُحسنُ إليك، فتترك الإنابةَ في التوبة توهُّمًا منك أنك تُسامح [عن] الهفوات. [والله أعلم].

نقل أنه رحمه الله عند وفاته كان قد وضعَ رأسَه في حِجْر أختٍ له، ففتح عينَهُ، وقال: أبوابُ السَّماء مفتوحةٌ، والجنة مُزيَّنةٌ، والحورُ معروضةٌ عليَّ، والملائكةُ تُنادي: يا أبا علي، نحن نُوصلُكَ إلى مقامِ ما خطرَ ببالك، والحورُ ينثرنَ عليك، ويُظهرنَ الاشتياقَ إليك. قال: والحالُ أنَّ قلبي يقول: بحقِّكَ يا ربُّ، لا أنظرُ إلى غيرِك؛ فإني قد انتظرتُ عمرًا طويلاً، وأستفكرُ دهرًا كثيرًا، والآن لا طاقةَ لي أن أرجع عنك يالله.

رزقه اللهُ عيشَ السعداء في جوار الأولياء، ونسأله بلطفه وكرمه ومنِّهِ وإحسانه أن لا يحرمنا عن صُحبة أوليائه في دار القرار، وعن مُتابعة خيرِ أنبيائه في هذه الدار، إنه وليٌّ كريم، رؤوف رحيم، وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله أجمعين آمين.

* * *